فأبى منها وأكثر الأولياء والصالحين كالصديق الأكبر رضي الله عنه فإنه لما تخلل بالعباءة في الفاقة
لم يلق ما يزرها به زرها بعود وظاهره عطف الأضر على ما قبله وما قبله على ما قبله من عطف العام
على الخاص فهو أي الفقر الدنيوي مع الغنى القلبي والخوف مبتدأ خبره وخلو القلب عن الدنيا
نعمة وعلامة سعادة لما أن السلامة غنيمة والدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب ولذا
جاء مرفوعًا إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه فالخوف منه أي الفقر الدنيوي
مع الغنى القلبي والخوف مبتدأ خبره عنده محنة بكسر الميم وسكون الحاء المهملة اسم مصدر من امتحنه
اختبره وبلية اسم مصدر من الابتلاء بمعنى الاختبار أي فعكس لما ذكر من علو أمر الفقر وعلى تسليم
لما رآه فإنه محنة ففيه أي في الخوف منه سوء الظن بالله تعالى فيما يستقبل في أيام عمره وقد
عرفه بالإحسان لحسن وصفه بحسن ظنك بحسن فعله فهل عودك الإحسانا وهل أسبغ عليك
الامتنانا وقد لمح لهذا المعنى بقول مطلع قصيدة أعود لنفسك مع ذنبك ذخيرة مولاك
نعم ذخيرة الإنسان وقس الفوائل بالمواضي هل بدا منه إليك سوى بدا الإحسان ولكون ذلك
كذلك قال الشيطان يعدكم الفقر ثم قال تعالى والله يعدكم مغفرة منه وفضلا أخرج البزار وأبو يعلى
والطبراني في الأوسط والكبير المرموز لهم بقوله زيعل طعك عن مسعود رضي الله عنهما وأبي هريرة
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد بلالا أي الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرج له
صبرًا بضم وفتح من بعانية ثم كرامة وقرأ فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا بلال خاطبه
بهذا الخطاب زيادة في التلطف به والمؤانسة فقال ادخرته افتعال من الدخر قلبت
تاؤه دالا وادغمت فيها الدال مجاز اتجام والإهمال لك وفي رواية لأضيافك أي ادخرته
لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما تخشى أن يجعل لك بالبناء لغير الفاعل لك بخار بضم الموحدة
وتخفيف المعجمة في جهنم اسم لطبقة من طبقات النار أعجمي وقيل عربي وفي رواية أن
تفور في الفور أن الهي لك بخار في نار جهنم واللام للبيان مثلها في سقيا لك
وفي أخرى أن يكون لك دخان في نار جهنم فإن قلت ثم جواز الادخار للعيال سنة ولمن
لا عيال له دون ذلك فما التطبيق بينه وبين هذا الحديث قلت الادخار شرطه أن لا يكون
لخوف الفقر لما فيه من سوء الظن بالله تعالى بل الأخذ بالأسباب التي اقتضتها الحكمة الإلهية و
الركون إلى الله تعالى لا إليها وفي منهوات المصر لا يقال أن جمع بلال من حلال فكيف قيل له
ذلك لأنا نقول يجوز أن يعلم صلى الله عليه وسلم بنور النبوة أن بلالا أمسكه خوف الفقر
الفقر بلالا عدل عن ندائه المستحق له لمناسبة قوله ولا تخش من ذي صاحب
العرش سجاوبلى إقلالا أو أصله بلالي بالإضافة فحذف الياء ونصب للسجع فإنه

الكريم

الكريم الذي يستحي أن ينزع النعم من أهله ولا يقطع نعمه بفضله وعلاجه أي علاج خوف الفقر
القلق الذي تعلقه من أصله إزالة أسبابه لفقد المسبب عن فقد السبب وهي ثلاثة
خوف الموت أو المرض من الجوع يتعلق بخوفين والثاني خوف فوت التنعم أي الترفه
المعتاد عند سعة الدنيا وحصول القلق بالقافين الاضطراب والانزعاج منه
أي من فوت ذلك والثالث خوف الاحتياج إلى الكسب إن كان بحسنه أو إلى
السؤال إن لم يكن من أولي الكسب وطريق إزالتها أي إزالة الأسباب الثلاثة إجمالا
أن كل هذه الثلاثة وكل منها سوء الظن بالله تعالى وأنه سبحانه وقوع ذلك فإنه ليس من مظاهر
وصف الرحمة والجود والكرم وإنما عطف على أن كل هذه فالمنزل مجموع المتعاطفين
مأمورون بحسن الظن به تعالى لما جاء فيه من الأحاديث القدسية والنبوية فهو من
الواجبات وخلافه من المحرمات وطريق إزالتها تفصيلا أن الموت أي عدم الحياة
عما من شأنه أو عرض يضادها الخلاف بين كونه عدميا أو لا لقوله تعالى خلق الموت والحياة
والأول تفسير خلق بمعنى قدر متيقن لابد منه كل نفس ذائقة الموت وأنت على كل حال
ومن لم يمت بالسيف مات بغيره إما بغتة أي مباغتا من غير سبب يتقدمه ويقال
له موت الفجاءة وهو يحصل إذا فشى الزنا في البلاد كما جاء في الحديث وإما بسبب يتقدمه
يتقدمه من نحو الأمراض فإن قدر كونه أي السبب له جوعا فلا مرد له لأن ذلك
شأن قضائه تعالى أن الله بالغ أمره وإن كان عندك ملء الأرض ذهبا أن هذه
وصلية وهي الواو الداخلة عليها خلاف أهي عاطفة أو حالية كما تقدمت الإشارة إليه
وبسطه في سورة البقرة مرضيا للسبيل وذهبا منصوب على التمييز من ملء الأرض وشبهه
المكيل وإلا فغير موتك منه فلا فوت به أصلا لأنه لا يكون غير مراده تعالى أبدا وأي
فرق بين الموت جوعا وشبعا فالجميع سواء في فقد الإحساس والخروج من زمرة الأحياء
ولا يخاف منه سعا بوانه لا خلاص منه فعليك أيها المكلف الرضا الظرف مقدم
اهتماما والرضا مبتدأ مؤخر أو عليك اسم فعل بمعنى الزم والرضا مفعوله بالقضاء وإن كان على
خلاف هوى النفس وكذا المرض إن قدر وصوله لك فهو آت البتة كما ذكر وإلا يقدر فلا
يكون فما شاء كان وما لا يكون فلا يكون تخيله أبدا وما هو كائن سيكون ولو لعب في المغفر
خفض الله لا تخفض فلان ما فلان مع المقادير نعلان وإذا رأن المقضي يمضي وما لم يقضه الله
لا يكن بأوان ولا دخل فيه أي المرض للغنى والفقر بل هو دائر مع الغنى والإكهى
بل ترى بالفوقية أيها الصالح للخطاب وبالنون أي أيها الموحدون الأغنياء المار

Copyright © King Saud University